المدائح النبوية بين الشعر الفصيح والشعبي

أ. ياحي خيرة
جامعة عمار ثليجي الأغواط - الجزائر

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى تناول ظاهرة لطالما لاحظناها تتردد في الشعر الشعبي والفصيح، ونقصد بها ظاهرة المديح النبوي، والتي سوف نتطرق إليها من خلال التعريف بالمديح النبوي في الأدب العربي ومقارنته بالمديح النبوي في الشعر الشعبي، وفق عناصر منها: المدائح النبوية في الشعر الفصيح، البردة في مدح الرسول ﷺ، دراسة نص البردة. كما نهدف من خلال التعرض إلى هذه الظاهرة الى كشف تمظهرات التعالق الديني، عند الشعراء الشعبيين والفصحاء، وابراز مدى حبهم لشخص النبي الكريم.

Abstract

This contribution attempts to study the phenomenon for as long as we have noted hesitate in the folk and eloquent poetry, we mean the phenomenon of praise of the Prophet, which we will address it, through the definition of praise of the Prophet in Arabic literature and compared to praise of the Prophet in folk poetry, according to the elements, including: praise prophetic poetry eloquent, al-Burda in praise Prophet Muhammad, peace be upon him, studying the text of al-Burda. We aim through exposure to this phenomenon to reveal the manifestations of the religious correlation, when folk poets and eloquent, and display extent of their love for the person of the Holy Prophet.

مقدمة

لطالما اعتبر الشعر أحد أبرز الطرق والوسائل المساهمة في نشر المعرفة، فهو أحد قسمي الأدب الى جانب النثر واستعملته العرب ديوانا لأخبارها، فقد كان منذ القديم مرآةً للمجتمع وسجلا

لتاريخها، فهو يعكس حياة الأفراد وواقعهم في بيئاتهم المختلفة وطبائعهم المتباينة، وقد اختلفت تعاريف الشعر بين قديمها وحديثها.

كما أن له-الشعر- اغراضا عدّة تتنوع بحسب الضرورة التي تقتضيها مواقف نظمه، فهناك الرثاء والغزل والوصف والفخر والمدح وغيرها من الأغراض الأدبية التي لطالما كانت سببا في بروز شاعر هنا أو هناك، وللإشارة لكل غرض مواضيعه وخصائصه التي يتفرد بها عن غيره عبر العصور التي نشأ وتطور فيها، تبعا لطبيعة ومعطيات كل عصر.

وعلى هذا الأساس سوف نعرض بالدراسة بتناول أحد هذه الأغراض، ونعني بذلك غرض المدح، للاهتمام الكبير الذي لمسناه لدى فئة كبيرة من الدارسين له، وذلك بغرض إبراز مميزاته، فقد تعددت على إثر ذلك طرق الدراسة والتناول للشعر شكلا ومضمونا، والى جانب الشعر الفصيح وجد الشعر الشعبي، وله أيضا مواضيعه وأغراضه ومن بين المواضيع التي اشترك فيها الشعر الشعبي والشعر الفصيح الحديث عن الرسول ﷺ، وقد تناوله شعراء الاتجاهين ضمن هذا الغرض "المدح".

والإشكالية التي تعترضنا كيف كان المديح النبوي في الأدب العربي ؟ وكيف تناول الشعر الشعبي المديح النبوي؟ ماهي أهم المعاني المشتركة بين الشعر الفصيح والشعر الشعبي؟

وقد حاولنا أن نجيب على هذه الإشكالية وتناولناها وفق عناصر منها: المدائح النبوية في الشعر الفصيح، البردة في مدح الرسول ﷺ، دراسة المديح النبوي في الشعر الشعبي بعدها النموذج التحليلي وقد اخترنا دراسة نص البردة.

المدائح النبوية في الشعر الفصيح

ظهرت القصيدة المدحية في العصر الجاهلي، وهي ثناء حسن يذكره شاعر لشخص أو جماعة يجد من خلاله قيما معينة. يعرف المديح في اللغة[1]: بأنه نقيض الهجاء، وهوحسن الثناء، يقال مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه مدحا ومدحة، هذا قول بعضهم والصحيح أن المدح المصدر، والمدحة الاسم، والجمع مدح، وهو المديح والجمع المدائح والأماديح.

والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة، ورجل مادح من قوم مدح ومديح وممدوح[(2)]، وغرض المديح منذ القدم أي العصر الجاهلي اشتهر بين الحكام

والأمراء فكان المدح قصد التكسب، ثم أصبح لغرض سياسي في العصر الأموي وكذا في العصر العباسي بانتشار الملوك والخلافات بين الأحزاب السياسية.

ويعرف المديح النبوي بأنه: "الشق الثاني من الشعر الديني"(3)، فقد تركزت في شخص الرسول محمد ﷺ: "والمدائح النبوية فن من فنون الشعر التي أذاعها التصوف فهي لون من ألوان التعبير عن العواطف الدينية، وباب من أبواب الأدب الرفيع لأنها صدرت عن قلوب مفعمة بالحب الصادق والإخلاص المكين"(4).

بخلاف قصيدة كعب بن زهير التي عرفت شهرة كبيرة، والتي تعرف ببانت سعاد وقد كانت قالهاقبلإسلامه يطلب فيها العفو من النبي ﷺ ويمدحه فيها.

وفيما يتعلق بالمديح الديني:"فهو من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، وهو لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من أبواب الأدب الرفيع، وهو أصدق الأغراض الشعرية عند العرب، وهو ما قيل في النبي ﷺ حيا أو بعد وفاته، باستثناء قصائد الرثاء المحض التي قالها حسان ابن ثابت وكعب بن زهير وغيرهما"(5).

كما أن أحد من القدماء أو المحدثين "لم يهتم بتاريخ فن المدائح النبوية لأن الذين أجادوه لم يكونوا في أغلبهم من فحول الشعراء... إنما هو فن نشأ في البيئات الصوفية، ولم يهتم به من غير المتصوفة إلا قليل"(6).

ومن بين الذين خاضوا في هذا الغرض أصحاب السنة ثم الشيعة من المسلمين يمدحون آل البيت وأئمتهم، كما كانوا مقلدين في طريقتهم وأساليبهم، فلم يخرجوا عن سابقيهم ككعب ابن زهير، حسان بن ثابت، ثم بعده البوصيري، صفي الدين الحلي، وأضافوا على ذلك السيرة النبوية وغزوات الرسول ﷺ، يرجون الشفاعة ويبثون الحكمة والمواعظ.

والمدائح النبوية غالبيتها نظمت بعد وفاة الرسول الكريم ﷺ والشعر الذي يقال في الميت رثاء:"لكنه في الرسول "مديح"، وكأن في استبدال كلمة مديح بكلمة "رثاء" إشارة الى أن النبي الكريم كأنه موصول الحياة نظرا لأن شريعته حية"(7)، فالشعر إذا قيل بعد وفاة الميت مباشرة رثاء، وإذا قيل بعد مدة طويلة مدح، فحسان رثا الرسول ﷺ، والبوصيري مدحه، رغم أنه أخذ كثيراً من قصائده لأن حسان نظم قصائده بعد وفاة الرسول ﷺ والبوصيري بعد وفاته ﷺ بعدة قرون،وهناك تعاريف عدة لا يسعنا المقام لذكرها كلها.

وقد برزت قصيدة المديح النبوي بشكل كبير في العصر المملوكي عند عدد كبير من الشعراء، بالرغم من تعدد ثقافاتهم واتجاهاتهم الفنية، ومغالاتهم في هذا النوع من المديح، ومن هذا حاول بعض الدارسين تفسير هذا الغلو الذي يقضي كما قال الدكتور بكري شيخ أمين: "لولا محمد ما ظهر شمس، ولا قمر ولا نجوم ولا أنهار ولا ثمار ولا شجر ولا بدر ولا بحر ولا جبال ولا غير ذلك،واستندوا في تمجيدهم على أحاديث وردت في الكتب الصحيحة منها قوله ﷺ: "أنا سيد الناس ولا فخر، وأنا سيد ولد آدم، وأنا خير من خيار" حديث صحيح"[8].

كما تعتبر المدائح النبوية تطويرا جليل لشعر المدح العربي[9]، وقد كان إزهاره خلال عصر الحروب الصليبية وغزو التتار للشرق الإسلامي، تلتها فترة انتهاء الحكم الإسلامي في الأندلس، وقد رسمت المدائح النبوية لقصيدة المديح من بعد نهجها فسار على دربها كل من جاء بعد هذا العصر"[10]، يبدو من هذا القول أن المديح قد اكتسب جملة من الخصائص وضحت له طريقا جديدا في المسار التطويري لهذا الغرض الشعري.

وللمدائح النبوية خصائص عامة طبعتها" فامتازت بصدق العاطفة وحرارة الشعور وسعة التناول[11]، هذا وعرفت قصائدهم بالجزالة الأسلوبية وبالمفردات المعجمية والصنعة[12]، وتنظم على بحر البسيط، وروي الميم أسوة في ذلك ببردة البوصيري، "ورأوا أن النبي صلى الله عليه وفي المنام وذكروا ذلك في شعرهم"([13]) ولشيوع الصنعة ظهر نوع آخر من المديح النبوي عرف بالبديعيات، هذا بصفة عامة عن غرض المدائح النبوية في التاريخ العربي للشعر الفصيح.

البردة في مدح الرسول ﷺ:

تعتبر البردة بادرة فن جديد عرف بالبديعيات والتي تعبر عن الروح الدينية، وقد اشتهرت خلال العهد المملوكي، وأصبح هذا الشعر الديني من الظواهر الفنية الجديرة بالدراسة والالتفات، وفي ذلك يقول الدكتور زكي مبارك: "تعد قصيدة البردة أهم القصائد بين المدائح الدينية النبوية، فهي أولا: قصيدة جيدة، وهي ثانيا: أيسر قصيدة في هذا الباب، وهي ثالثا، مصدر الوحي لكثير من القصائد التي أنشدت بعد البوصيري في مدح الرسول"[14].

وقد تباينت آراء العلماء حول هذه القصيدة، فهناك من أعجب بها وراح يبالغ في إطرائها وذكر فضلها وبركتها، وهناك من رفض هذا النوع من الشعر الصوفي أصلا، واعتبره خارج عن الشعر السليم، وارتبط ذكر البردة بالنسبة للناس في عصره وبعد عصره بالمناسبات المحزنة وبالموت، فكانت تدرج هذه التوسلات على ألسن الناس وينشدونها في كل حين ولاسيما في

الأذكار والخلوات وساعات التضرع والابتهال والمناجات" [15]، وصارت البردة النموذج الذي يحتذى به الناظم في شعره، وكانت خير معين للشعراء في عصره لاستذكار المعاني واستلائها، وحتى بعد عصره.

وللقصيدة عدة أسماء عرفت بها منها البرأة لأن الشاعر شفي بها من الفالج الذي أصابه، وسميت البردة لأن الرسول ﷺ خلع عليه بردته في منامه، كما سميت قصيدة الشدائد لأنها تنشد قصد تفريج الكربات، وذكر ابن قنفذ أنه يقال لها البردة في مدح من هو خير عدة"[16]،ويذكر أنها صارت تنشدها في المجالس والاحتفالات الدينية طلبا لشفاعة النبي ﷺ، وتفريجا لكرباتهم.

وتعد البردة القصيدة العربية التي حظيت دون غيرها من القصائد بمكانة وشهرة بين الناس، فذاع صيتها في الآفاق شرقا وغربا، وحفظها العام والخاص وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات حتى قال عنها ابن حجر الهيثمي: "لقد زادت شهرة البردة إلى أن صار الناس يتدارسونها في البيوت والمساجد والجامعات"[17].

وللبردة شهرة كبيرة فقد عرفت في المحافل الدينية، كما عرفت في الحلقات الأدبية، وفي ذلك يقول الدكتور عمر موسى باشا: "ولا نبالغ إن ذكرنا أنها حظيت باهتمام المتصوفة والأدباء والنقاد وطوائف الناس عامة، ولم يعرف مثلها أية قصيدة في أدبنا العربي كله على اختلاف عصوره من الجاهلية إلى المعاصرة والحديثة"[18]، في هذا القول ما يوحي بأن القصيدة عنت الكثير في تاريخ الأدب العربي، وعرفت البردة ترجمات كثيرة، "فقد ترجمها المستشرق رباسة R.basset " إلى الفرنسية، كما ترجمت إلى بعض اللغات الأخرى كالألمانية والإنجليزية وغيرها"[19].

وكان تأثير البردة في اللغة والأدب تأثير مباشرا، فقد ظهرت عشرات الشروح،" أكثر من تسعين شرحا بالعربية والفارسية، ولغة المغرب الأصلية، وأول شرح نعرفه لها شرح أبي شامة عبد الرحمن بن اسماعيل الدمشقي (ت665-1266) وهذا دليل على اهتمام الناس بالبردة في حياة نظمها"[20]، ومن العلماء القريبين من عصره نجد الكثيرين شرحوها،،وتميزت هذه الشروح بكونها تحمل فقرات لغوية وادبية وتاريخية، كما كان لها الدور الرائد في تعليم الادب والاخلاق والتاريخ، وعلمت البردة تلقى الناس طوائف من الالفاظ والتعابير عنيت بها لغة التخاطب.

و من الأدوار الفعالة التي لعبتها البردة، انها عرفت الناس بأبواب من السيرة النبوية، والمساهمة في تهذيب ذوق العامة من الخصال العنجهية، وليس من القليل أن تنفذ هذه القصيدة بسحرها الاخاذ إلى مختلف الاقطار الاسلامية وان يكون الحرص على تلاوتها وحفظها من وسائل التقرب إلى الله والرسول (ص)، كما أنه يفضل هذه الشروح والتعليقات، وجدت ملاحظات علمية ولغوية قيمة ما كانت لولا وجود القصيدة"[21].

كما يعتبرون قصيدة البردة:" من أعظم المدائح النبوية، وقد أجمع النقاد والشعراء على أنها أفضل المدائح النبوية بعد قصيدة كعب بن زهير الشهيرة بانت سعاد، ويذكرون بأن البوصيري كان قد عني بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار النبي ﷺ وجوامع سيرته العطرة، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح النبي ﷺ.

القصيدة من أروع قصائد المدائح النبوية، ودرة ديوان شعر المديح في الإسلام، الذي جادت به قرائح الشعراء على مر العصور ومطلعها من أبرع مطالع القصائد العربية"، كما أنهم عدوها النموذج الأكمل "وقد ظلت تلك القصيدة مصدر إلهام الشعراء عبر العصور، يحذون حذوها وينسجون على منوالها وينهجون منها ورأوا أن البردة مثلت فن الملحمة في الأدب العربي، وقد أشار الأستاذ عبد الله كنون في مقالة له إلى العلاقة بين الملحمة والبردة فقال: "هذا فن من الشعر يكاد أدب الفقهاء يمتاز به، فيدفع الوصمة عن الأدب العربي التي يلصقها به كثير من النقاد حيث يستحدثون عن خلوه من الملحمة أومن الشعر القصصي الجميل"[22]،هذا فيما يخص الرأي المؤيد للقصيدة، ولعل الوسطية تقتضي أن لا نبالغ في ذكر عيوب القصيدة وتحميلها ما لا تحتمل، كما لا نطريها ونمدحها حتى ننفي عنها كل العيوب والمخالفات التي وقع فيها صاحبها.

أقسام البردة:

أما في تصنيف البردة حسب موضوعاتها، فهي تتألف من مئة واثنين وستين بيتا على اختلاف الروايات في عدد أبياتها، كما وجدنا أنها "تقع في مئة واثنين وثمانين بيتا وهي من القصائد الطوال"[23] وهناك خلافات عدة في عدد أبياتها والذي اعتمدناه كمرجع في بحثنا هو مئة واثنين وستين بيتا، وقد صنفت إلى عشرة أقسام[24] هي:

القسم الأول في النسيب النبوي (1-12).

القسم الثاني في التحذير من هوى النفس (13-28).

القسم الثالث في مدح الرسول الكريم (29-57).
القسم الرابع في التحدث عن مولده (58- 71).
القسم الخامس في التحدث عن معجزاته (72-87).
القسم السادس في التحدث عن القرآن الكريم (88-114)
القسم السابع في التحدث عن الإسراء والمعراج (105-117).
القسم الثامن في التحدث عن جهاد الرسول وغزواته (118-139).
القسم التاسع في التوسل والتشفع (140-151).
والقسم العاشر في المناجاة والتضرع (151-161).

وهناك اختلاف في تقسيم أبيات القصيدة وعددها في كل قسم، وهذا طبيعي على اعتبار أن عدد أبيات القصيدة لم يتفق حوله، ولعل مضامين هذه الأقسام تكشف لنا عدة مواضيع تناولها الشاعر، تبرز حبه للرسول ﷺ، والحديث عن شيء من سيرته العطرة، وتذكير النفس بحقيقتها وتوسل ببركة الرسول ﷺ، لعل من الأسباب التي جعلت الشعراء يتأثرون بالبردة، ويهتمون بها في العصور القديمة، وحتى في عصرنا الحالي هو كثرة الدراسات التي أثيرت حولها وكذا المعارضات التي جاءت بها قرائح الشعراء لها، وقد اعتبرها الدكتور محمد التنوجي بأنها كانت إلهاما للشعراء والنواة لفن إسلامي جديد هو فن المديح النبوي وفن البديعيات، وجعل البوصيري خير من قلدها في قصيدته المعروفة بالبردة، فإن أغلب الذين كتبوا المدائح النبوية بعد البوصيري قد كانوا متأثرين به، شكلا على مستوى الوزن والقافية، ومضمونا على مستوى موضوعاتها، ولعل أهم ما تناوله أصحاب هذا الفن هو التوسل برسول الله ﷺ، قصد طلب شفاعته يوم القيامة، وكذا التمسح ببقاع الحجاز المختلفة[25].

المديح النبوي في الشعر الشعبي:

وكما وجد المديح النبوي في الشعر الفصيح كذلك وجد في الشعر الشعبي وذلك لان الشاعر الشعبي أحب الرسول ﷺ وعبر عن هذا الحب في قصائده المختلفة، ومن بين هؤلاء الشاعر **أحمد عامر أمهاني** وهو شاعر من منطقة بوسعادة، الذي كانت له قصيده مطولة في مدح النبي ﷺ والتي عنوانها "**أنوار محمد**"[26].

وموضوع هذه القصيدة هو الحديث عن حياة النبي ﷺ، وكان قد افتتحها بأبيات عبر فيها عن مدى السعادة التي يشعر بها كل من أحب النبي عليه الصلاة والسلام شفيعنا يوم الميعاد،

ومن شدة حبه اشتعلت نار الحب في قلبه وأصيب عقله باللهب فصار لا يستطيع أن ينام لأن هذا الحب قد ملك عليه عقله وقلبه حيث يقول:

يسعد من حب أنبي عنو يكتب ... محمـــــد شفيعنا يوم الميعاد
نار الحب أقدات في قلبي ولهب ... عقلي يدي طول ليلي دون أرقـاد
يا من الإله أصطفـاه أحب ... بعــث ربي نــور فالظلمة وقـاد[27]

فنرى الشاعر يتحدث عن الشفاعة كما فعل شعراء المديح النبوي في الشعر الفصيح لأن أهم شيئ يبتغيه المادحون للنبي عليه السلام هو شفاعته يوم القيامة، وقد وصفه عليه السلام بأنه" نور في الظلمة وقاد"[28]، فالنور لا يظهر فضله إلا من خلال الظلمة، وهذا حال بعث النبي ﷺ على الناس، فالصورة التي رسمها الشاعر صورة تتعلق بالحوس لأن المشاهدة بالعين تنطبع أكثر في النفس وكأنه يرسم بالكلمات.

وينتقل بعدها الشاعر إلى الحديث عن حياة الأمة العربية قبل مجيئ الاسلام، ويذكر ما كانت فيه من ضياع ويتأسف على انتسابها إلى سلالة والد اسماعيل عليه السلام وما وصلت اليه من انحطاط بعبادة الأوثان وتقديسها. وما شاع فيها من خرافات يقول:

كانت أمة أفعالها حق أتشيب ... في ورطة هي تايها فسط الوهاد
عار عليها للعرب زعم تنسب ... ذرية اسماعيل هـ نعم الأجداد
ولات هي ضالة لا ما يقلب ... تعبد فالحجــرة أ تركع للجماد

ويتحدث في هذه الأبيات عن أمور تعلقت بما فرضته قريش عن الحاج أو المعتمر من لباس ثوب يسمى الحمس، وهو يعني أهل الحرم أي ثياب قريش، فان لم يجدوا شيئا منها طافوا عراة، وهذا قمة المنكر والفساد، ويذكر منزلة الانثى فهي تحرم من الميراث وتدفن حية يقول:

ولغريب إطواف مهوشي راغب ... في ثياب الحمس قريش الأسيـاد
ولي ما يلقـاش لازمل يزرب ... إطواف بيت الله عاري يا لسياد
والمرأة في حـالهـا لما يعجـب ... جروها بفـاعلهم شــور الفساد
نعت أبهيمه قاعدة غير أتلـوب ... ولي بارز راه يسيبهـا بــعناد

فما تناوله الشاعر في هذه القصيدة المديحية لم يتعرض له البوصيري في بردته وهو أشهر من مدح الرسول عليه السلام، ويذكر الزيف والكذب الذي حملته والجهل الذي عم الناس، وما ساد من كفر، وشرك والحاد يقول:

ديانات أمحرفه عنهم تكـذب ... حضبت عالجهال تزعم الارشاد
الصليبيــة جـاتهـم قا تسرب ... وبرهه سفلـوت ماذا غـر أعباد
لاخار جاهم ساجد النار تلهب ... من مجوس الفرس داخل بالتلباد
اليهودية ناسهـــا قـا تترقب ... كـي انخيان لي اتقانص فالتجراد
والصابئة جـات بالكلمة تسلب ... من لعرب هي طالبة غير التأيـاد
صبحت أمه أمقطعة لمن تنسب ... للجهل والكفر والشرك أللحاد[29]

ورغم أن الأبيات تقريرية إلا أن الشاعر يركز على المعاني دون الألفاظ، فيسرد حال الأمة العربية قبل مجيئ النبي الكريم عليه السلام، يقول الدكتور علي بولنوار واصفا الأبيات" لقد جاءت أبيات شاعرنا ذات نسيج دلالي متصل في التجربة الشعورية معبرة عن انفعال فيها"[30]، إذا فهي ليست هامشية ولكنها جزء لا يتجزأ من الموضوع العام، فالبوصيري في البردة لم يتعرض لهذه المعاني رغم أنه كان نموذجا في المدائح النبوية، ونلاحظ الأهمية الشديدة لها، فحين تعرف قيمة الجهل والطيش التي وصلوا إليها تدرك أهمية الرسالة المحمدية في اخراجهم من الظلمات.

فهي بمثابة مقدمة للدخول في المدح النبوي، ويقدم مرة أخرى، فيرى أن الله سبحانه وتعالى أرسل رسوله لأنه رأى هلاكها فأراد بها خيرا، فقد شابهوا قوم ثمود وعاد، في الضياع والظلم والفساد، فأختار الله أمنة بنت وهب وعبد الله بن عبد المطلب لينجبا محمد عليه الصلاة والسلام لخلاص الأمة، وذكر كيف كانت مرتاحة بحملها له عليه أزكى الصلاة والتسليم فالشاعر مطلع على السيرة وحيث ولدت بشرت الأرض بميلاده، فهبت ريح عطرة وانبعثت نور تراءت به قصور بصرى في الشام، وسقطت عرش كسرى وتحطمت شرفات إيوانه وخمدت النار المقدسة، التي يعبدها المجوس يقول:

الله الـــرحيـــم شـاف العبد أذنب ... والناس هـــي هامـلـة وداها واد
ذا الـمجتمـع طـاح فالقيمة وخرب ... فـعـل فات أقوام كي ثمـود أعاد
خيـــر زوج أعباد مـــن بيت النسب ... وجــدودهم في قومهم سادة لسياد

عـــبـــد الله ولـــد عبـــد المطلـب	آمنــــــة بنت وهــــب من لمجاد
حمــلت برســول مــاحست بتعب	كفاش تتعب حاملـة خير العباد
وضــعت في يوم والناس أتمرحب	والأرض هي بشرت محمد زاد
ريح العـطرلاح وكسـا ذا المضرب	نور ساطــع سـاطع لاح البعـاد
أقصور الشام أضوات في ليل أموقب	ويوان كسرى رابل هـذا التشياد
نــار المجــــوس خامدة كانت تلهب	والكنيسة أتهدمت طاحو لعماد[31]

في قول الشاعر عامر أم هاني استعان بالمجاز ليوضح كلامه حيث يقول على وجه الاستعارة ريح العطر للحديث عن النبي صلى الله عليه السلام، وقوله: نور ساطع ويواصل الشاعر بهذه الطاقة الشعرية الحديث عن الرسول فيذكر مرضعاته" ثويبة جارية عمه أبي لهب وحليمة " والخير الذي أصابهما لإرضاعهما النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم وأخته شيماء من الرضاعة وكيف كانت تحميه وتخاف عليه من الحساد، ويذكر معجزاته صلى الله عليه السلام مثل حادثة انشقاق الصدر يقول:

ثويبة لحليبـــــها رام واشـــــرب	وحليـمة خيرها أكثر وحليـبها زاد
حتى شيماء رافـــدات وتحضب	خايفة عن خوها من عين الحسـاد
مـكبر حـاله صلبت هو يلعــب	حكـم جبرائيل مـــن دون الأولاد
شـقل صدر طول وجبد القلـب	خرج علقـــه لـــونها داكـن يسواد
غسلولوا في طاس يبقص مذهب	رجعولوا كـما أجبــــد هذا الفؤاد
أمر الله واش فيه عبد يستعجب	والشـيء وإذا قـدر لا واحد راد[32]

ويعاب على الشاعر أنه تتبع السيرة بالسرد التاريخي، فأصبح يؤرخ لحياة النبي بدل أن يكتب شعرا، بخصائصه الفنية وهذا غير موجود في قصيدة البردة لأن الشاعر جمع بين جمال المعنى وإيحاء التعبير والـمجاز، وبعدها ينتقل الشاعر إلى وصف أخلاق النبي ﷺ ويعــود الشاعر ليذكر كيف تمرس الرسول ﷺ، وكيف كان يرى أن هذا الكون لم يخلق عبثا حتى نزل عليه الوحي ويذكر كيف جاء لخديجة يقول:

وقصد حبل النــور واختـار مضرب غاره حراء هـ عاجـب ساكن لرفاد
ذا لعلا هـ سـاعـد باش إراقـــب وفكـــر في خـالـــق رب العباد
يستعجب فـي ذا اسمـاء لون يسلب وشكون لي رافع من دون أعماد[33]
والأرض واجبـالها عنهـا تحـضب ولفوجوج أمقابـلات والـوهـاد[34]
أتيقن أمـلـــيـــح وعـــرف كايـــن خالق هـــذا الكون والميزان شاد
ونـــزل جـــبرائيـل عـــن وصـــوب ضم ليـــــته أقوالو هـاك الله راد
أقــرأ يا رســول الله يا زين المذهب ربي حبــــك هـ ابعثني للتعـاد[35]

ويورد بعدها كيف إلتقى بورقة بن نوفل وأخبره عن صدق نبوته، وهذا لم يوجد في قصيدة البردة، ويعتب على الشاعر عدم تركيزه في الفكرة ولذلك ينتقل مباشرة إلى الفكرة الأخرى فلا يثير وجدان وفكر المتلقي إلا من قبيل أن الموضوع متعلق بالنبي عليه الصلاة والسلام.،وبعدها يذكر مهمة الرسول العظيمة التي أوكلت له، وكيف ناداه الله فتوجه للعباد داعيا لعبادة الله وعدم الاشراك به يقول:

نـاداه الاله أتقعـــــــــد واقصب أنهض يا رسول ما بقـالكش أرقاد
الراحـــة زالت غير بـــدلهـا بتعب وشنق عقبـه ما بقالكـش التـهـواد
ذا الـرسالـــة أصحيـــح ثقلـــها يغلب نعـــت أجبـل لا ما يـرفـد رفاد
أتـحـــزم أناض وعــــلى الله كبب يدعي في النـاس بالحكمـة ورشـاد
قاللهم الله واحـــــــــد وحاسب وعذاب من دارل بالشــرك أنداد
ما عنـد لا أولاد لا زوجـة ونـسب ومن الصيفة راه أمجرد تجراد [36]

اشتركا الشاعر البوصيري مع الشاعر الشعبي في الحديث عن قصة الاسراء والمعراج ولكن الشاعر الشعبي كان أكثر تفصيلا وذلك من خلال ذكره للصلاة التي سنت في الاسراء والمعراج، وبعدها ينتقل مباشرة إلى ما قابلت به قريش النبي عليه السلام، من تهديد وشتم واتهام بالسحر، والكذب، وكيف خرج مع أبو بكر الصديق رضي الله عنه فهو كالمؤرخ لا يترك حادثة إلا وذكرها مراعيا تسلسلها الزماني، وذلك ما أخرجه عن الفنية والجمالية وأوقعه في التقرير وعدم الانسجام يقول:

حب ربي يـــاك رفـــع وتقـرب ليـــلة لسراء حق مـا فيها تفناد

جـاء جبريل ساقل براق أركـــب للمقـــدس أداه صـــلى بلأسيـاد

هذا المعراج شـاف فيـه العجـائب البيت المعمـور حـد معراج ما زاد

شاف الجنـــة أنهـارها غير أتـزلقب شاف النار الشاعلـة تحرق لجـساد

جابنا صلاة مفـــروضة تعـجـــب هي الهـــذا الدين ركـن والعـماد[37]

جات قريش ساقهـم أبـــولهـــب يشتـــم فالرسـول وهـدد تــــهـداد

وبوجهـــل جـاي يخلع ورهـــب ذا الــطاغيـــة جرت مليان أعــناد

قالــوا أنت سحـار وعلينـا تكذب ما تحشـم تبـلينا ديـن الأجــــداد

آذواه بـــزاف بدفلــه والســـــب وقلــوبهـم بالغـــل مليـانـه أحقاد

أهل الطايــف فيــه بالحجرة تتلب رجل تدمي مالــقى واحـد ضماد

هو صـابـــر شوف محتـاه ابقلب يـدعي القوم إبعد هـــذا التشراد

برلمـان قريش زايـد قا يكـــلب دار الـندوة جمـعت زعم لـسياد

وتفقــوا أعلى راي شيطـانهم يعرب يقتلـــوا هذا أنبي أتـــريـح لـعباد

وعزم جبــرائيل للــرسـول أزرب قـالوا أقصب ما تبـاتش فـالبلاد

أبو بكـــر معـاه فالنـــــدهة يعجب ساروا في ذا الليل لامونة لا زاد[38]

وتخباو في غـار فالـطلعـــة يصعب جات قريش هي لاحقة جيش أقياد

وعمى ربـي ابـصـارهم لا من قرب ما بالك فـي اثنيـن والمولى قـواد

جـات العنكبـوت تنسـج وتكتب ولحـــمامة حاضـبة بعد التـولاد

فهو يستعمل ألفاظا وجدت في عصره (كقوله برلمان) وهذا لأن الشاعر منساق وراء السرد بدل اعطاء الصورة الجمالية فقد كان همه المعنى فأخرجه من الفنية، فهو يعرض أحداثه بشكل واقعي بصدق دون مبالغة ولا التخيل الفني، كما أن تقريره لم يأخذ في حسبانه المتلقي ولا أشركه في التلقي، وبعد ذلك ينقلنا إلى نجاة قريش وتوجيهه إلى يثرب أين استقبلوه فرحين مهللين، وذكر بعض الأحداث التي وقعت مثل بناء المسجد يقول:

وتكلـــوا أعــلى الله سـاروا ليثرب وتلقاتهم نـاسها خرجت أحشـاد[39]

بنـات الأنـــصار تنشـد وترحب هذا البـدر لـي اطلع نـــور لبــلاد

الناقة بركت أتقول فالخطوة تحسب   مضـــربها ولـى مسـجد للعبـاد
ربي جمله نـاسها أعـلى ديـن الحب   ولات طيـبة فـاخرة بنـاس أمجـاد
أنصـار الرسـول في جنب تضرب   ما يخشـاو أعدو فالحرب شـــداد

ومن المجاز في قوله رغم قلته يقول:"ولات طيبة" يتحدث عن يثرب التي أصبحت طيبة وهو مجاز مرسل علاقته جزئية لأنه يقصد أهل يثرب، وقوله كذلك(أنصار الرسول في جنب تضرب"وهو كناية عن الدفاع والحماية له عليه الصلاة السلام، يسرد الشاعر الشعبي غزوة بدر وكيف واجه فيها المسلمين أعداءهم، في شهر رمضان وأيدهم الله تعالى بنصره يقول:

بدر الكـــبـرى إحير فيها من يكتب   هـذا الغـزوة فاصلة بين الأضداد[40]
جيش الكفـــر قايد هـــذا المذنب   أبوجهل جاء إكر في سرب أجراد
فوق الألـف أمعـاه لكثـر متنقب   والبعير المحملـــــه زيد الجياد
أصيود أتلقـاتهم تعـرف تعـطب   ما تفوت ربع أجيوشهم عده وعداد
رمضان الكريم ما حسوا بتعبزادهـم   ربـــي غيـث للشرب أتـبرد
وش جاب جيش الحق للمولى ينسب   الجيش أمذبدب جاي يحمي فالفساد
حزني عالصنديد حـــمزه كي جـلب   شال الأســـود نحل رجـل وفاد

فيرى أن أبو جهل وجيشه مثل سرب الجراد وهذا لكثرتهم وفساد عملهم، بينما شبه المسلمين(بأصيود أتلقاتهم تعرفتعطب) بالأسود المقاتلة الشجاعة التي تصيب العدو، وشبه علي رضي الله عنه بالأسد المقاتل يقول:(وعلي حيدر)، وذلك لبسالته في القتال، في هذه الأبيات يكثر الشاعر من المجاز يقول(شعلت نار الحرب) يعني حمي وطيسها واشتدت وهنا حتى ينقل لنا الصورة بأمانة وهي قوة القتال، وكأن الغيم ركب فوق بعضه البعض أي كثرة الغبار حيث يقول:

وعلي حيدر طاعـن الوليـــد أتكب   وسلت سيـوفهم من فسـط أغمـاد
شعلت نـار الحرب والغـيم مركب   والرســول إقـيـد فـي نعم الأسياد
نزلت الملايـكة بيض أتحـــارب   ولي جاء في اطريقهم يسكن للـحاد
هذا انهـار اكبير والسيـــف إشـطب   أتقولي أتويزة قايـمـة في انهاراحصاد
وبوجهـل كي الجيـــفة متقـلـب   بين حمـــــاه أمستحه كما لفـراد

ولي بقى مرعوب تالع أينـــــدب هامل في لعلاب ومراد تمـــراد[41]

وشبه الكافر أبو جهل بالجيفة (وبو جهل كي الجيفة متقلب)، حيث وقع مقتولا في ساحة الجهاد،وكأنه عجل ملقي على الأرض (كيما لفراد) وهذا لبشاعة منظره، وهذا مايجعل الصور التي قدمها ايحائية، وتلي غزوة بدر الكبرى غزوة أحد حيث وصفها الشاعرالشعبي بقوله:

قريش أركب غيضها هبلت وتسب هـزيمتها شايـعـة في كـل أبـلاد
حشدت ثلث آلاف ونساء ما تحجب عـبـد أمقـلـط جايـبـين بلتـلمـاد
بن حرب في شاوهم نعت الثعلب والأحــد هـ قـادهــم هذا المسراد
ألـــقـاوه الأبـطال ثم فالمضـرب والزبير أظــهـر بارز فـــي الجهـاد
غاضني قالرســـول خدع ذل الكلب ربـاعيت طـايحـــه والفم شـاد
في أجبين مقيوس ودموعات اتكب ناسي أجـراح كـلتها ما حاب أقـعاد
حالت حمـــزة غاضت والصبر أصعب بنت عتبــة أتشق أتمـــزق لكبـاد
يتنهت وزيـــد في في ربـــي يطلب بـايت ليلـــة كاملة ما جـاه أرقـاد
عالبكره حرك جيـش نـاض أقصب والحمر الأســـد أصبح فالوهـاد
فتست قريش هـاربــة هو يــتلب لو أحكمهـم جيشهم يهبيه أرمـاد[42]

ويعود إلى المجاز مرة أخرى يقول (قريش أركب غيضها هبلت وتسب) فالذي جن جنونهم وانهاروا غيضا وحقدا هم أهل قريش وهذا من المجاز المرسل(بن حرب في شوبن الحرب في شاوهم نعت الثعلب) فقد شبه سفيان بن حرب بالثعلب وذلك لمكره وخداعه (وذا الكلب) ويسبه بالكلب، وهذا لم نجده في قصيدة البردة فالبصيري لا ينعت خصوم النبي بالصفات المشينة ولا يشبههم بالحيونات (الكلب، الثعلب) وهذا ما يدل على حمية الشاعر الشعبي، ثم يقر الشاعر كثرة غزوات الرسول ﷺ وأنه غير قادر على إحصائها وعدها يقول:

مكـــثر غزوات واش فيها تحسب سرايا وبعـــوث تصعب عالجـراد
طوع كل لي اطعن في ذا المذهب ومكـذب بالدين وفـــند تفنـاد
طوع ظلام ياك فالكفر أتحـــزب وتبات طول الليل اتلمد في لضداد
طوع يـهود هي اتفتن أتنصب ذي قريـــظـه سلمت هبطت سجـاد

ويهــود خيـبر طاح عنهم أصوب وفتح جمله أحصوهم أثمنيه بعداد[43]
وحــلف فيهم ما يدوروا للمضرب أمة فسـاد لاسـقـة كا لقـــراد
طوع رومان كــان قيصر مستريب مغـرور أبجيـشيـاك عرمرم جـراد
في مـؤته راه دار خالد وش يرغب نــاس الصليب هتـنهم فيهم مرماد
غزوة تبـوك عـاد هـرقـل يتهرب جملة ردوا أجيوشهم داخل لبلاد[44]

فالرسول عليه السلام استطاع أن يدخل في دين الاسلام أعتى الرجال وأقساهم يقول:(طوع ظلام ياك فالكفر أتحزب) وحتى اليهود والرومان (طوع اليهود)، يشبه الذين يعثون فسادا (بالقراد) أي الحشرات الضارة، وهو دائما يصف كثرة عدد العدو بالجراد، وهذا لان الجراد معروف بإعاثته الفساد في الأرض.

وحلف فيهم ما يدوروا للمضــرب أمة فسـاد لاسقة كمـا لــقراد
طوع رومان كان قيــصر مستريب مغرور أبـجيشيـاك عــرمرم جراد
في مؤته راه دار خالد وش يرغب ناس الصليب هتنهم فيهم مرمـاد
غزوة تبـوك عاد هـرقل يتــهرب جمله ردوا أجيوشهم داخل لبلاد[45]

فنلاحظ أن تكراره لكلمة (طوع) له وقع خاص على المتلقي(فطوع) تحمل معنى الرضا والانصياع وهذا دلالة على خلقه العظيم عليه أزكى التسليم، فالشاعر قد أشرك المتلقي في الاحساس بحقيقة الرسول عليه الصلاة والسلام، وينتقل في مقطع أخر إلى فتح مكة وكيف كان حال الرسول عليه السلام فقد بكى، وصلّ وطاف بالبيت وبعدها خطب في الناس ودعا الناس الى توحيد الله عزوجل وتدارك أعمارهم قبل فوات الاوان يقول:

فتح مكــة يــوم بـاقي ما يــذهب يـوم الـفرحة هـ الثالث في لعيـاد
جيــوش النصر داخـلـه هي ترهب رايــة لسلام عـاليـه فيـد الأمجاد
رســول الله قاأدخل من كثر الحب ما أحكم في العين باكية وش يعي شاد
اتفكــر جمله احيـوطها زقه وارحب بعد المنفـي أرجع لـوطن الأجــداد
أبدا بالبيت طـافـهـا صــلى وعقب شـاف الأحجار واقفة ما جاه أقعاد
أحـكم القـــوس طاح بالقوة يضرب كسر جمله أصنـامهم طـهر لبــــلاد

جمع قريش خايــفــة عنهم وخطب   وش دور أنديو بعد تحقيق المــراد
ما جيت عالــثار دور نـقتل ونعذب   ما جيت نقمع نـاسكم ولا جــلاد
علمني ربي نعفي عالمذنب   الله يسمح يا طلقاء لسياد
توبوا لله قبل ما حياتكم تعقب   خافوا ربي بعدوا هذا الفساد
قالوا انت لي كريم من بكري طيب   وعلى الصفا أنبا يعوك أعلى التأياد
عن دين الله جات من شرق أمغرب   أفواج أفواج قادمة هذا العباد
الكافر بالله صار فالركعه يحسب   والمشرك هو أرجع ولى وحاد
الصلاة أعلى النبي زين المذهب   محمد شفيعنا يوم الميعاد[46]

فقد اعتبر الشاعر فتح مكة ثالث الأعياد الى جانب عيد الفطر وعيد الأضحى ويذكر كيف كسر الرسول عليه السلام أصنام قريش يقول (كسر جملة أصنامهم طهر لبلاد) فرسول قد طهر الكعبة من الأوثان التي كانت تدنسها، وبعد ما وقع في فتح مكة يختم أبياته بالصلاة على محمد، في أسلوب تقريري يخلوا من المجاز والانشاء.

ويوضح هدف الدين الاسلامي وهو التسامح الديني يقول: (ما جيت نقمع)، فالإسلام لم يأتي لقمع الحريات وانا جاء وهذا لا نجده في البردة، ثم ينتقل الى حجة الوداع،يذكربما يحدث فيها من وصايا الرسول والموقف المهيب يقول:

حجة الوداع جات شباب أ شياب   في عرفــه نازلــه أحشاد
حط الـرسول قامـرة ثم وانـصب   في هــذا اليوم انطق عند ما فاد
قال للزوجه أحسن بلاك أتعايب   وحذر ياك ما تهينها أم الأولاد
ذا الأمانة صونها حق أواجب   كي أتربيها ما تقربش الفسد
كونوا صف أمتين عمر ما يغلب   والقرآن أمامكم ديم قواد
ما تفرقوا ما بين عجمي وعرب   ما تقولوا هذا أبيض ذاك يسواد
هذي هي أوصايتي أحفظ وكتب   راني عارف ما بقالي طول أقعاد[47]

يقول في وصف المشركين (وما بقالي أجدور غدوة للتوفاد) اشارة الى أن الكفار سيكونون هم حطب ووقود جهنم والعياذ بالله، وهذا المجاز يزيد المعنى قوة ووضوحا، وكيف أحس النبي عليه السلام بدنو أجله حين قال على لسانه (راني عارف ما بقالي طول قعاد) وهذا ما يدل

على تشبع الشاعر بالثقافة الاسلامية ومعرفته الواضحة بالسيرة النبوية، وبعد حجة الوداع يربط كلامه بما أصاب الرسول عليه السلام من مرض يقول:

بعد أشهر رسول الله كي الأجل قرب	أحكم مرض ما تلاويها السجاد
حمى عن قادية راها تلهب	ذا الجمرة ما فاداها حتى تبراد
من وجع الراس راه حزام واتعصب	ولض فيه أعلى أفراش ولساد
فاطمة لقالها يبكي وحب	والحسنين جابهم هما لكباد[48]

يقول (ذا الجمرة ما فادها حتى تبراد) أي اشارة الى الحمى التي أصابت النبي عليه السلام فشبهها بالجمرة وهذا يعني قمة الألم الذي عاناه الرسول عليه الصلاة والسلام منها، ويشبه الحسن والحسين بالأكباد تشبيه بليغ ليؤكد على محبتهما رضى الله عنهما.ويذكر فقر النبي عليه الصلاة والسلام تبعا لما ورد في سيرته الطاهرة يقول:

فقير الحال ما يسعى ما يكسب	درع مرهون عند يهودي حساد
عائشة أسلفت زيتها باه اتثقب	عارفه ذا الليل راه يعقب دون أرقاد[49]

ويذكر الموقف المهيب الذي مات فيه الرسول عليه الصلاة والسلام يوم الاثنين يقول:

وجبد لحيال ماقدرباش إقرب	وق شاف الراكعة ولي سجاد
ابتسم وافرح كان في هذا يرغب	وحمد ربي لي اهدى هذا العباد
زين الصفات راه زايد قا يغلب	وتكى عن عائشة ما شد أقعاد
في حضنها إبل في فم كي غب	سكرات الموت قالها اتشيب لولاد
وختم لنفاس كي وقت الظهر أقرب	في يوم اثنين ثابته حسبه وعداد
شاعت لخبار في أمصارى ولعرب	جات هذا الناس قادمه أعداد أعداد
لعيون تلوح بدموع أتقول أقرب	ولي أصبر صار يشهق ما ه شاد
صلاة عن أجموع بالعشرة تعقب	حتى انساء جات بعدهم لولاد[50]

وبعدها يصف حال المسلمين عند وفاة النبي عليه الصلاة والسلام السلام يقول:(لعيون أتلوح بدموع أتقول أقرب) حيث شبه كثرة دموعهم بالقرب التي يأخذ منها الماء، وينتقل بكل هاته

الأحاسيس الجياشة في تسلسل زمني محكم ليتحدث عن القرآن الكريم والذي أوصى به الحبيب المصطفى، وما تركه من أحاديث شريفة يقول:

هـذا المـوت صعيب بالأحزان أعـقب	رسـول الله صار راقـد في للـحاد
لـكـن هـ خـلانا خير الكتب	قـرآن الكريـم أبنور وقاد
زين الآيات واضحه راها تعجب	يدي لطريق ظاوية ليـها قـواد
من احكم بيه راه عمر ما يغلب	ولي أكفر بيـه ويل يروى من ذالواد
من يـدبر فيه يكشفل لعجب	يعرف سر غير مـن قاري لـوراد
خلى سنـه شادها ولا ينكب	أسـوة الرسـول هـ نعم العباد
وحاديث أمعـمـوره بها الكتب	حكم باينـه هـي المنبع للإرشاد
لصلاة أعلى أنبي زيـن المذهب	محمد شفيعها يـوم الميـعاد[51]

ويصور لنا حال الكفار يقول "ولي كفر بيه ويل يروى من ذا الواد" يشير الى واد ويل في جهنم، ويختم حديثه بالصلاة على الرسول عليه السلام شفيع الخلق، فالكلمات واضحة المعاني مباشرة تحيل مباشرة الى ما أراده الشاعر دون عناء،ثم يصف أخلاق النبي عليه السلام فهو بدر في كماله، أخلاقه فاضله حميدة يقول:

بدر الكمال طل عالأمـة رقب	نـور لرض زاح ذا الليـل لي ساد
زين الأخـلاق كلـها حياء ودب	يعطف عالناس راه رحيم أجـواد[52]
يعفـي بسماح ما يحاسب ما يغضب	ما يسمع شين ما تربـى عالأ حقاد
ينفع الناس فالوقت لـي يصعب	يوفي بالعهـد ما يخلـف التعاد
الدنـيا في زينـها ماه راغـب	كـل الرسـل دايما عنها زهاد[53]

فهو النور الذي جاء بعد الظلام "زاح ذا الليل لي ساد" يعني أنار عقول العرب وقلوبهم بالإسلام بعد ظلام الجهل الذي شبه الشاعر بالليل الذي ساد وانتشر ويذكر زهد النبي عليه السلام، وبساطة الأبيات تجعل المتلقي يشعر بصدق احساسه لأنه لم يتكلف في ذكرها وينهي الشاعر عامر أم هاني قصيدته بذكر معجزات النبي عليه الصلاة والسلام يقول:

وراء آيات ظاهرة لي كذب ذا المعزاتذاكرتها كل أوراد
شق القمر شافت دشره وعرب بين الفلقات بان حراء في لبعاد
ونطق الذيب جاه وغزاله والضب وشكا لبعير خاف من ذبح التنهاد
جذع النخيل قال يارسول اقصب داروا منبر دور نبقى عالحياد[54]
سبحت لحجار في أكفاف يا عجب بكلام أعرب صار للمولى وحاد
عين قتاده مسها بعد العطب أضوى بصر خير من بكري هـ عاد
وشفا عليا أمن الرمد بيد سبب لبيض أصفى والمومو قاع أسواد
وبن جابرأحياه ربي وستجب كي أدعاه الرسول بلغ المراد
ورمى كمشة أتراب قد قيس المخلب أعمى قريش كلها جيش أقياد
جات لشجار ساجدة ليه أتسحب وجبدهم له زاد قودهم تقواد
و الشاة لي مسها عادت تحلب كانت مرنيز جافه قا اعظمها شاد
الي حاضر راه منها قاع أشرب وبقى أحليبها غير هامل يالسياد
عكاشه هـ مدل دبوس أحطب ولات سيف إحير فيه لي حداد
الصلاة اعلى أنبي زين المذهب محمد شفيعنا يوم الميعاد[55]

وفي الختام يذكر أن ما قاله كان في سبيل الله ويطلب من الله أن ينجيه من النار كما فعل البوصيري في البردة متوسلا بمدحه للرسول يقول:

تمت لبيات ياك منيش تاعب هذا ما قلمي أكتب أعقلي جاد
في سبيل الله حاجه ما تصعب زادت عن رسولنا خير العباد
وغفر يا إله مولانا يارب نجينا في لاخره يوم الميعاد[56]
يوم الحشر أكبير والعرق إكبب والمجرم هو امكتف في لصفاد
أحمد عامر أم هاني هـ كاتب حب الرسول جار عني يا لسياد
بعت الدنيا أفانها هو يسلب وشريت به حب أنبي درت فالزاد[57]

ورغم طول القصيدة والمامه بجوانب حياة الرسول إلا أن الشاعر لم يقدم العناصر الفنية الازمة من خيال، ومعاني تدل على رؤية عميقة في الحياة فورد شعره بطريقة تشبه القصص كما تدل القصيدة على إلمام الشاعر بالسيرة النبوية الشريفة ومعرفة بدقائقها، وكذا معرفته بالقرآن

الكريم. وبعد المقارنة الوجيزة بين الشاعرين نخلص إلى أن البوصيري كان أقرب إلى الفنية والجمالية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، بينما الشاعر الشعبي يقدم مدحه بصورة جد بسيطة ليس فيها إيحاء ولا جمالية ولولا الموضوع المتناول لما لقي صدا ولا استجابة من المتلقي، والحال نفسه في المديح النبوي في الشعر الشعبي حيث نجد ابن السايب في قصيدته (بسم الله الكريم نبدأ إنشادي الحرم يا رسول الله)، وغيرها من القصائد المدحية الخاصة بالنبي في الشعرالشعبي.

دراسة نص البردة وتحليله: النص المختار: التحذير من هوى النفس:

فَإِنَّ أَمَّارَتِي بالسُّوءِ مااتَّعَظَت ... مِن جهلِهَا بنذير الشَّيْبِو الهِرَمِ
ولا أَعَدَّتْ مِنَ الفعلِ الجميلقِرَى ... ضَيفٍ أَلَمَّ برأسي غيرَ مُحتشِمِ
لو كنتُ أعلمُ أَنِّي ماأُوَقِّرُهُ ... كتمتُ سِرًّا بَدَا لي منهبالكَتَمِ
مَن لي بِرَدِّ جِمَاحٍ منغَوَايتِهَا ... كما يُرَدُّ جِمَاحُ الخيلِبالُّلجُمِ
فلا تَرُمْ بالمعاصي كَسْرَشهوتَهَ ... إِنَّ الطعامَ يُقَوِّي شهوةَالنَّهِمِ
والنَّفسُ كَالطِّفلِ إِنْ تُهمِلْهُ شَبَّ عَلَى ... حُبِّ الرَّضَاعِ وَإِنْ تَفْطِمْهُ يَنفَطِمِ
فاصْرِف هواها وحاذِر أَنتُوَلِّيَهُ ... إِنَّ الهوى ما تَوَلَّى يُصْمِ أويَصِمِ
وراعِهَا وهْيَ في الأعمالسائِمَةٌ ... وإِنْ هِيَ استَحْلَتِ المَرعى فلاتُسِمِ
كَم حسَّنَتْ لَذَّةً للمرءِقاتِلَةً ... مِن حيثُ لم يَدْرِ أَنَّ السَّمَّ فيالدَّسَمِ
واخْشَ الدَّسَائِسَ مِن جوعٍ ومِنشِبَعٍ ... فَرُبَّ مَخْمَصَةٍ شَرٌّ مِنَالتُّخَمِ

شرح معاني المفردات:

اتعظت: اعتبرت وتعلمت. الهِرَم: كِبر السِّن، قِرَى: طعام يقدم إكراماً للضيف، كتمتُ: أخفيتُ. الكَتَم: نبات مثل الحناء، جِمَاح الخيل: عدم خضوعه. اللجم: جمع لجام وهو ما يقاد به الفرس، تَرُم: تطلب. النَّهِم: شديد الجوع، حريص على الأكل، شَبَّ: نشأ وكبر، تُوَلِّيَهُ: يكون ولياً عليك. يُصْم: يقتل. يَصم: يُصيب، سائمة: ترعى الكلأ وهو نبات صحراوي. لا تُسم: لا تدعها ترعى، الدسائس: الفتن والمكائد. المَخْمَصَة: شدة الجوع. التُّخَم: فساد الطعام في المعدة.

المضمون:

يحذر الإمام البوصيري في هذا الفصل من النفس الأمارة بالسوء وأنها من جهلها لا تتعظ بنذير الشيب والكبر، وكان الواجب عليها أن تعتبر، فما أعدت هذه النفس، من جميل الفعال، وكريم الخصال، ما يتناسب مع الضيف الذي ألمّ بالرأس، وهو غير خفي ألا وهو الشيب، وكان المناسب أنْ تزدادَ تقرّباً، وطاعةً، وعبادةً ولو كنت أعلم أني لن أنزل هذا الشيب منزلته التي يستحقها من حسن الفعال لعمدت إلى إخفائه بالأصباغ كالحناء، فمن يساعدني على رد نفسي عن غوايتها كما يكبح اللجام جماح الخيل. [58]

ثم يلفت نظر كل إنسان إلى حقيقة مهمة وهي أن كسر شهوة النفس لا يكون بالإفراط في المعاصي، فكما أن الطعام يقوي شهوة النهم، فإن فعل المعاصي يزيد في شهوة النفس الأمارة بالسوء.[59]

ويشبه النفس بالطفل، فكما أن الطفل إذا تركته أمه يكبر ويشيب على حب الرضاع، أما إذا فطمته ومنعته من الرضاع فإنه ينفطم ويمتنع، فكذلك النفس من تركها تُعبُّ من الشهوات تزداد في تغيانها. ومن كبح جماحها ومنعها عن المعاصي امتنعت وأنابت إلى ربها سبحانه وتعالى. [(60)]

ويأمر الإنسان أن يجتهد في أن يصرف هوى النفس، وأن يحذر من استيلائها عليه، لأن هوى النفس إذا استولى على الإنسان يقتله أو يعيبه على الأقل، ويوجه إلى ما ينبغي على الإنسان من ملاحظة النفس وهي في أعمالها كالأنعام التي ترعى في كلأ مباح، وإن استحلت المرعى فلا تتركها ترعى وتفعل ما تشاء. فطالما حسّنت النفس متعة للإنسان هي في حقيقتها قاتلة له، ولم يدرِ المسكين أن السم مخبأ في شهوته التي يراها كأنها دسم وشيء ثمين، ويحذّر من فتن الجوع والشبع، فلا يكون الجوع سبباً في القنوط، ولا يكون الشبع سبباً في البطر، فرُبَّ جوع شديد يورث القنوط، يكون شراً من شبع مفرط. وكلا الأمرين: شدة الجوع، وكثرة الشبع تصرف الإنسان عن العبادة والطاعة.

جاءت أفكار القصيدة مستمدة من معارف الشّاعر ومن ثقافته وبيئته العربيّة والإسلامية وبعض الأفكار تقليدية كالغزل، والوقوف على الأطلال، الموسيقى الداخلية والخارجية كانت ناجحة في دورها مما ساعد على تناغم الجمل والمفردات، وهي موسيقى هادئة صنعها البحر البسيط

وروي الميم، المفردات سهلة ماعدا بعض الألفاظ الصعبة مثل: العنم، الكتم، يصمي، يصم، البهار، مضطرم، النهم، وذلك لارتباطها بعصر الشاعر، الأسلوب لقد نوّع البوصيري الأسلوب ما بين خبر وإنشاء، وتقديم وتأخير، وأكثر من الجمل الفعلية وابتعد عن الجمل الاعتراضية، مطبقاً حُسْنَ تنوع الأسلوب الممتزج بالعاطفة الجيّاشة المعبرة عن شدة الحّب والاحترام للرسول،" لقد امتاز البوصيري في مدائحه بقوة الأسلوب وحسن الصياغة، وجودة المعاني، وجمال التشبيهات، وروعة الصور"([61])

وخاتمة القول إنّ تطور الأغراض الشعرية وبالأخص المديح قد كان وفق جملة من التغيرات حدثت له على مستوى المضمون والشكل، أما المضمون فقد تحول إلى فن المديح النبوي وأصبح الحديث عن الرسول ﷺ هو أساس المديح بمحاولة التطرق إلى بعض الجوانب من حياة الرسول عليه الصلاة والسلام، أما على مستوى الشكل فتخصيصه النظم على البحر البسيط وروي الميم والتزامه جملة من الأماكن والأسماء، وحتى التراكيب والعبارات لخدمة هذا الغرض حتى أصبحت خصوصية من خصوصياته التزمها الناظمون فيما بعد هذا بالنسبة للشعر الفصيح، أما عن الشعر الشعبي فان الشعراء اهتموا بالمضمون دون الشكل فلم يلتزموا بحرا محددا ولا رويا واحدا بل اختلف بين الشعراء وحتى ضمن القصيدة الواحدة، كما أنهم أهملوا الجانب الفني والجمالي للقصيدة.

الهوامش:

[1] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد الثاني، دار صدار، بيروت، 1417هـ/1997م، ص589.

[2] - المصدر نفسه، ص 590.

[3]-بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي العثماني، دار الشوق، الطبعة الأولى، بيروت، 1392هـ/1972م، ص 265.

[4] - المرجع نفسه، ص 265.

[5] - المرجع نفسه، ص 77.

[6] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1412هـ/1992م، ص 11.

[77] - بكري شيخ أمين ،مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني ،ص265.

[8] - المرجع نفسه، ص 266.

[9] - عبد المنعم خفاجي ،الأدب والتراث الصوفي، مكتبة غريب، ص 243.

[10] - ينظر محمد زغلول سلام، الأدب في العصر المملوكي الشعر والشعراء، منشأة المعارف، جلال حزي، وشركاه، مركز الدلتا للطباعة، الجزء الثالث، 1996، ص28.

[11] - ينظر عبد المنعم خفاجي، الأدب والتراث الصوفي، ص 243.

[12]- محمد التنوجي، المعجم المفصل في الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الجزء2، ط1، 1413هـ/1993م، ص 776.

[13] - المصدر نفسه، ص 776.

[14] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص 277.

[15]-المرجعنفسه،ص277.

[16] - عمر موسى باشا، محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، مطبعة الإحسان، دمشق 1400 هـ، 1980م، ص 344.

[17] - بدر الدين الغزي ،الزبدة في شرح البردة، حققها وقدم لها ودرسها الدكتور عمر موسى باشا 1972، ص 5.

[18] - عمر موسى باشا ،محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، مطبعة الإحسان، بدمشق 1406هـ/1980 م، ص 344.

[19] - المرجع نفسه،ص344.

[20] - رابح بوحوش، البنية اللغوية لبردة البوصيري، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون، الجزائر، 1993، ص 10.

[21]- بكري شيخ أمين، مطالعات في الشعر المملوكي والعثماني، ص 270.

[22] - عمر موسى باشا، محاضرات في الأدب المملوكي والعثماني، ص400.

[23] - زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص134.

[24] - ينظر: بدر الدين محمد الغزي ،الزبدة في شرح البردة، تحقيق عمر موسى باشا، 1972-1393 م، ص 6.

[25]- ينظر زكي مبارك، المدائح النبوية في الأدب العربي، ص 147 وشوقي ضيف ،تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات في مصر، دار المعارف،، ط3، القاهرة، 1990م، ص 365.

[26]-علي بولنوار، الشعر الشعبي الجزائري منطقة بوسعادة، ديوان المطبوعات الجامعية،2010، ص109.

[27]- المرجع نفسه، يسعد: سعيدا، أقدات: اشتعلت ،يأخذ، أرقاد :النوم،وقاد:متقد،مشتعل،ص110.

[28]- المرجع نفسه،ص110.

[29]- المرجع نفسه، حضبت :وقعت عليهم، سفلوت :حقير، التلباد :خلسة وبطء، اتقانص: تترقب ،الصابئة :عبدة الملائكة ،التأياد: التأييد، امقطعة:مقسمة،ص114.

[30]- المرجع نفسه،ص115.

[31]- المرجع نفسه، كفاش :كيف ،اتمرحب :تمرحب وتهلل ،زاد :ولد، لاح :فاح ،المضرب :المكان ،أموقب :مظلم ،ص 116،117.

[32]- المرجع نفسه،رام:ألف /رافدات:تحمله /تحضب:تحافظ وتعتني بحرص شديد /حكم:قبض /صابت:أصابته /شقل:شق له /طول:كله /وجبد:أخرج /طاس:إناء /يبقص:يلمع /رجعولوا:أعاده له /واش فيه:لا حرج في ذلك /راد:معيد،،ص 118

[33]-المرجع نفسه،أمليح:جيد / صوب:اتجه إليه مباشرة /الله راد:الله زاد،ص119.

[34]-المرجع نفسه، مضرب:مكان /لرفاد:المكان العالي /باش :لكي /وشكون:من؟ /تحضب:تقع عليه، ص120

[35]- المرجع نفسهأمليح :جيد،صوب :اتجه اليه مباشرة،للتعاد: الموعد، ص120

[36]- المرجع نفسه، اتقعد: انهض ،اقصب :اسرع،مابقالكش:لم يبق لك،رقاد:نوم،بدلها :غيرها، شنق:أصعد، عقبة: مرتفع،التهواد: منخفض،لا ما يرفد:لا يحمله ،رفاد:حماال،أناض:نهض وقام،كبب: توكل، دارل: وضع له ضد وشريكا،ص122.

[37]-المرجع نفسه، ساقل: ساق اليه/ أداه: أخذه /شاف: رأى، جابنا :أتانا،ص124.

[38]- المرجع نفسه، جاي :قادم، يخلع :يرهب ،جرت:صفته أنه عنيد، تبلينا: تتلف، بزاف: كثيرا، بدفله: البصاق، مليانة: مملوءة، تتلب: ترمي، مالقى:لم يجد، محتاه: ما أكبره، التشراد: التشرد، والانقسام، قايكلب :يزداد غيضا، اتريح: ترتاح، ازرب: أسرع، ما تباتش: لا تنم، الندهة: النجدة، لا مونة: لا مؤونة، اتكبب : تلم خيوطها، حاضبة على بيضها، التولاد: بعد وضعها البيض، ص125،124.

[39]- المرجع نفسه، اتلقاوهم: قابلوهم، مضربها: المكان الذي بركت فيه الناقة، ولى: أصبح سجدا، ولات :أصبحت فاخرة: تفتخر، ص125.

[40]-المرجع نفسه،اكز:يجر،متنقب:ملثم ،زيد:أضف ،أصيود:شبه الشاعر المجاهدين بالاساد،ما تفوت :لاتتعدى ،تعطب تقاتل قتالا شرسا،وش جاب :لامفاضلة ولا مقارنة بين الجيشين ،جاي:قادم ،الصنديد: البطل ،جلب:هجم،شال:حمل ،نحل رجل وفاد:قطع له رجله ومصارينه ،ص126.

[41]-المرجع نفسه، اتكب: سقط /الغيم مركب: كثيف /للي: الذي /اشطب: قطع /أتقولي: يخيل إلي /أتويزة: تعاون /أمستحه: ماقاة دون حياة: لفراد: العجول لضخامة الجثث / تالع: هارب من شدة الفزع /يندب: يخدش وجهه /لعلاب:الأرض المنبسطة /إمرد:يزحف على ركبتيه،ص 127.

[42]- المرجع نفسه، اركب غيضها: حل بها الغضب /شايعة معروفة /امقلط: ملتقط /جايين: قادمين به /بالتلماد: ملتقط /شاوهم: في أولهم /المسراد: يمشي خلسة، ص128، غاظني: أحزنني /رباعيت: احدى أسنانهالامامية الرابعة /شاد: واضع يده على فمه /مقيوس: مصاب /أتكب: تسيل بغزارة /اقعاد: جلوس وقعود /عالبكرة :في الفجر باكرا /ناض: نهض /أقصب: أسرع /الحمر الاسد: موضع ومكان يسمى بذلك /فتست:هربت بسرعة، ص129.

[43]-المرجع نفسه ،يتلب: يطارد/يهيبه: يحوله الى رماد/الجلاد: الذي يسجل الناس ويقدهم في الدفاتر/اتلمد:تجمع/طاح: عنهم /نزل عنهم /أصوب: قاصدا اياهم مباشرة،ص129.

44-المرجع نفسه، اركب غيضها: حل بها الغضب/شايعة معروفة /امقلط: ملتقط /جايين: قادمين به /بالتلماد: ملتقط /شاوهم: في أولهم /المسراد: يمشي خلسة، ص128، غاظني: أحزنني /رباعيت: احدى أسنانهالامامية الرابعة/شاد: واضع يده على فمه/مقيوس: مصاب/أتكب: تسيل بغزارة /اقعاد: جلوس وقعود /عالبكرة :في الفجر باكرا /ناض: نهض /أقصب: أسرع/الحمر الاسد: موضع ومكان يسمى بذلك /فتست:هربت بسرعة، ص129.

[45]- المرجع نفسه ايدوروا: يعودوا /للمضرب: للمكان /لقراد: نوع من الحشرات /مستربب: قوي ظالم /جراد: كثير العدد مثل الجراد /راه انه دار: جعل خالد بن الوليد مرماد: جيوش الروم /رد\وا :أعادوا، ص130.

[46]- المرجع نفسه، فيد: في يد /وش: ماذا/يعي: يتعب/عقب: مر /شاف: رأى/ما جاه أقعاد: لم يسترح/طاح: قام بتحطيم الأصنام /القوس: العصا الغليظة /وشدور: ماذا أفعل/بكري: قديما (منذ القدم)،ص131.

[47]- المرجع نفسه، حط: أقام/قامرة :خيمة/عند مافاد: قال كلاما مفيدا /بلاك:إيك /باك: طبعا، جدور: حطب يابس/غدوة: غدا والمقصود يوم القيامة /للتوفاد:وقود النار/أصياتي :وصيتي،بقالي: لم يبقى لي/أقعاد: مكوث، ص 132.

[48]-المرجع نفسه، احكم مرضى:أصيب بمرض شديد،ما تلاويها:لا يقوى على تحمل المرض أي انسان ساجد لله مؤمن به،حمى عنقادية: حمى ملتهبة أصابته، واتعصب:عصب رأسه من شدة الالم، ولض:بشدة باحكام بيديه، لقاها:دعاها، الحسنين:أبناء فاطمة وعلي(الحسن والحسين)، جابهم:طلب احضارهم،هما لكاد: عزيزان عليه،ص133.

[49]-المرجع نفسه، ما سعى :لا يملك شيأ/أسفلت زيتها باه اثقب: استعارت زيتا للاضاءة /يعقب: يمر ،ص134.

[50]- المرجع نفسه، عيون تلوح: تدمع /أتقول أقرب : مثل القرب المليئة ماء/ولي: الذي /يشهق:يبكي بمرارة /ماه شلد:لم يستطع، ص134

[51]- المرجع نفسه، أعقب: مر/راقد: نائم في القبر /خلانا: ترك لنا /وقاد: متقد مضيئ /يدي: يقود/قواد: دليل مرشد/يكشفل: يبين له /قاري: قارئ /لوراد: الأوردة/أمعمرة: ملأى /باينة: واضحة ظاهرة ،ص 135.

[52]- المرجع نفسه، بدر الكمال:قمر مكتمل،طل: أطل ،رقب: مد رقبته ونظر ،نور: أنار ،زاح: أزال، لي: الذي ،ودب: أخلاق فاضلة وأدب ،راه: إنه ،جواد: كريم، ص 136.

[53] - المرجع نفسه ،ما يسمع شين: لا يستمع الى الكلام القبيح ،ماه: لم،ص137.

[54]- المرجع نفسه، ورا: بين ،شافت: رأته ،بان: ظهر واتضح ،لعباد: بعيدا ،أقصب: أسرع ،داروا: وضعوا ،دور :أريد،ص137.

[55]- المرجع نفسه، مسها: لمسها/بكري: قبل ذلك/سبب: كان بيده سببا في شفاء على من الرمد /قاع: كله /المومو: عدسة العين/كمشة :قبضة/ قيس:مقدار/أتسحب: تزحف/جبدهم :جذبهم/قودهم قادهم/مرنيز: هزيلة / قا عظمها شاد: من شدة هزلها لم يبقى فيها إلا العظم /ألي: الذي كان حاضرا /هامل من كثرته أصبح ضائعا/مدل: أعطى له /ولات: أصبحت،ص138.

[56]- المرجع نفسه، منيش تاعب: غير متعب، إكبب: يتصبب /أمكتف: مقيد، ص 139.

[57]- المرجع نفسه، أفناها: مغرياتها /شريت: اشتريت /درت: جعلت،ص139.

[58]- أحمد عمر هاشم، بردة المديح المباركة، دار المقطم، القاهرة، 1995م، ص 65.

[59]- المرجع نفسه، ص 66.

[60]- المرجع نفسه ،ص66.

[61]- على نجيب العطوي، البوصيري شاعر المدائح النبوية وعلمها،، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995م،ص186.